



انتهينا في المقالتين السابقتين إلى أن المشروع الحقيقي لداعش لم يكن في أي يوم من الأيام مساعدة السوريين وقتل النظام الطائفي، ورأينا كيف نجحت داعش فعلاً في احتلال مساحات واسعة من الأرض السورية في زمن قصير، فهل تملك القوة العسكرية الهائلة التي تبرّر ما حصلت عليه من مكاسب وما حققته من إنجازات؟

الجواب: لا،

فإنها فضيل متوسط الحجم، أقل حجماً وقوه من أي واحدة من الجماعات الكبرى، كحركة أحرار الشام وألوية صقور الشام وجيش الإسلام.

إذن كيف استطاعت إعادة احتلال نصف الأراضي المحررة؟

لقد نجحت داعش في إنجاز تلك المهمة القذرة باستعمال أساليب قذرة، أساليب تنطوي على المكر والخداع والظلم والبغى والغصب والسرقة والكذب والغدر والخيانة.

سوف يستغرب أنصار داعش وصفي إياها بهذه الصفات ويقولون: لا يمكن لأي جماعة جهادية أن تستعمل مثل تلك الأساليب.

أقول: صحيح، ولكن من قال إن داعش جماعة جهادية؟
هل تصبح الجماعة جهاديةً بالمزاعم والأقوال أم بالأفعال والأعمال؟
دونكم ما فعلته داعش بنا ثم حكموا لها أو عليها يا أيها المُنصفون.

لتحديث عن الغدر أولاً.

لو استقصينا الأمثلة على غدر داعش فسوف تتحول هذه المقالة إلى كتاب، ومن ثم فإنني أكتفي بالإشارة إلى نوعي الغدر الداعشي: الغردي والجماعي.

الأول يتمثل في منح الأمان للرسل ولعامة المجاهدين ثم الغدر بهم واعتقالهم وتعذيب وقتل كثير منهم، وقد ذاعت أخبار ضحايا غدرهم حتى صار يعرفها القاصي والدانى من السوريين ومن غير السوريين.

الثاني يتمثل في غدر داعش بالكتائب التي تقاتلها ونقض العهود التي تعقدتها معها. من الأمثلة المشهورة على ذلك غدر داعش بالأحرار في مسكنة، فعندما فشل هجومها الأول على البلدة طلبت هدنة لم يتربّد الأحرار في الاستجابة لها، ثم اتضح أنها لم تطلب الهدنة إلا للغدر بهم، فقد استغلتها لاستقدام تعزيزات ضخمة، وعندما وصلت تلك التعزيزات قصفت مقرات الأحرار بالمدفعية ثم حاصرتها وسيطرت عليها، وبذلك سقطت مسكنة في يد داعش الغادر.

بل إن الحرب التي يخوضها المجاهدون اليوم مع داعش لم تُطلق شرارة إلا حادثة غدر مشابهة، فعندما قررت داعش الهجوم على الآثارب في آخر كانون الأول الماضي أرسلت إليها رتلاً عسكرياً من حرستان، وحين مرّ الرتل بالمنطقة التي تسيطر عليها كتائب نور الدين زنكي حاول الزنكيون وقفه ومنعه من التقدّم، فوقع اشتباك نتج عنه قتل عدد من الدواعش وأسر أكثر من عشرين، فاستسلم الرتل المهاجم ووافق على وقف القتال، وبال مقابل أطلقت كتائب نور الدين زنكي الأسرى وسلمت جثث القتلى لحامية داعش في خان طومان.

ثم اتضح أن مقاتلي داعش كانوا يخادعون بانتظار وصول مؤازرة من الدانا، وما إن وصلت المؤازرة حتى نقضوا العهد وأطبقوا على مجاهدي نور الدين زنكي فأوقعوا فيهم عشرات القتلى والجرحى والأسرى، ثم هاجموا أورم الكبرى فأوقعوا مقتلة في لواء الأنصار وهاجموا قرية بسرطون وأبادوا الزنكيين الذين وجدهم فيها، وكانت تلك الغدرة هي شارة الحرب.

تمارس داعش الكذب والتّقْيَة كما يصنع الرافضة تماماً، حتى ليخلط المرء أحياناً بين الفريقين ولا يكاد يميز أحدهما من الآخر إلا بلون العلم، فالأسفر لفريق والأسود لفريق.

والعجب أن داعش تمارس هذا الأسلوب الذي على خصومها وعلى جنودها على حد سواء، فما أكثر ما قادت مقاتليها إلى الهجوم على قرى المسلمين المحرّرة وهي توهمهم بأنهم يهاجمون قرى نصيرية أو رافضية، وقد انتهت بعض تلك "الغزوات" بضحايا من الأبرياء، وفي حالات أخرى نجا الناس عندما استعملوا مكبرات الجوامع لإذاعة الأذان وإشعار المهاجمين المخدوعين بأنهم يهاجمون مسلمين مثلهم، وليس كفاراً أو أعداء كما أوهّمهم قادتهم المخادعون الكاذبون.

لقد كذبت داعش ثم كذبت ثم كذبت حتى كُتبت عند الله وعند الناس من أكبر الكاذبين.
كذبت فمنحت الأمان لرسل ومستأسيرين ثم قتلتهم غيلة وغدرأً بدم بارد.

وكذبت فادّعـت أنها من جبهة النصرة ورفعت علم النصرة لتمر عبر حواجز لواء التوحيد وكتائب الجيش الحر مرات

ومرات، كان آخرها في حادثة تفجير مدرسة المشاة في الأسبوع الماضي.

وكذبت فزعمت أنها تفاصيل لحقن الدم فيما هي تبيّن الغدر وهدر الدم، كما صنعت في التفجير الجبان الغادر في قيادة عمليات الراعي قبل أيام.

وكذبت حين وضعت يدها على غنائم مطار منع وزعمت أنها ستوزعها على الكتائب المشاركة ثم لم تفعل. وكذبت في دعوى المشاركة في العمليات العسكرية ضد النظام حتى وهم أنصارها فظنواها الفريق المجلّي في كل ميدان، وما لها في سوريا مشاركة تُذكّر إلا في آحاد عمليات، ولو سألتهم بعد كل الصخب الذي تسمعه فإنهم يقولون: "منع والساحل ومستودعات الحمرا في حماة". وفي كل واحدة منها مقال لو شئنا لأوضحناه مطولاً، وحتى لو سلّمنا بها جميعاً بلا مقال فأين هذه الثلاث من آلاف العمليات التي خاضتها مئات الكتائب في ثلاث سنين وحررت على إثرها ثلثي أرض سوريا؟

ولعل الكذبة الكبرى التي كذبها داعش وصدقها كثير من السذج أنها جماعة مجاهدة جاءت إلى سوريا لقتال النظام، ولو لم تكذب داعش إلا هذه لكتفى بها دليلاً على أنها من أكبر الكذابين!

-3-

من أسوأ الأساليب القذرة التي استعملتها داعش للتمدد عبر المناطق المحررة وإعادة احتلالها أسلوب المكر والخدعية. إن المدن التي احتلتها داعش بالغزو العسكري المباشر قليلة جداً، كاعزاز والباب ومنبج ومسكنة وحزانو وقليل غيرها، أما الجزء الأكبر من المناطق التي احتلتها فقد اعتمد احتلالها على المكر والخداع. فكيف كان ذلك؟

بعد مضي نحو أربعة أشهر على إعلان تأسيس التنظيم الجديد (الدولة الإسلامية في العراق والشام) بدأ سكان المناطق المحررة يشاهدون مقررات تحمل اسمه ورأيته، فلم يُلقو لها بالاً، ثم بدؤوا يلاحظون الحواجز الجديدة التي أقامتها داعش داخل المدن والقرى وفي مداخلها وعلى الطرق الموصلة بينها، فسكتوا عنها لما قيل لهم إنها لحفظ الأمن، ثم تطورت تلك الحواجز إلى نقاط عسكرية تمكنت داعش بواسطتها من حصار المدن والقرى واحتلالها وطرد الكتائب المحلية منها.

ثم بدأ التنظيم بإظهار قوته وممارسة سلوك استبدادي تحت غطاء ديني، وكان أوائل ضحاياه من الإعلاميين وناشطي الحراك المدني، فاعتقل أعضاء المجالس المحلية في تل أبيض ومنبج والباب واستولى على المحكمة الشرعية في تل رفعت وطارد واعتقل إعلامي الثورة في الرقة وسراقب وحاس وكفرنبل والدانة وحزانو.

ثم انتشرت تلك الممارسات حتى صارت ظاهرة مصاحبة لداعش في كل مكان تتمدد فيه وتسطير عليه، وصار كل من يعمل في المؤسسات الإعلامية والإغاثية والطبية والدعوية والحقوقية في خطر داهم، فقد اعتقلت داعش منهم مئات وأضطر مئات آخرون إلى الهرب إلى تركيا خوفاً من الموت والاعتقال والتعذيب في سجون داعش الذي لم يقل سوءاً عن التعذيب في سجون النظام.

-4-

عندما تعجز داعش عن احتلال مدينة من المدن بالمكر والخديعة فإنها تلجأ إلى أسلوب آخر: البغي والفجور في الخصومة واحتلال الذرائع الكاذبة لتبرير غزو المناطق المحررة.

إذا كانت خصومتها مع فرد من كتيبة فإنها تستهدف الكتيبة كلها وتحاربها حتى تستأصلها من جذورها وتعتقل أو تقتل قادتها وتشتت مقاتليها و تستولي على أسلحتها وأموالها ومقراتها، وإذا أخطأ بحقها فرد من سكان إحدى المدن فإنها تعاقب المدينة كلها فتجتاحها وتحتلها وتقضى على ما فيها من إدارات مدنية وهيئات شرعية، وهي -بها البغي والظلم- لا تقل فجوراً وإجراماً عن النظام الأسدية نفسه، والأمثلة على ذلك لا تكاد تحصى.

في منتصف أيلول الماضي أطلقت داعش حملة عسكرية ضد كتائب الجيش الحر في ريف حلب الشرقي تحت عنوان "نفي الخبث"، وقالت إنها "تستهدف عمالء النظام الذين قاموا بالاعتداء السافر على الدولة الإسلامية في العراق والشام، وفي مقدمتهم كتيبة الفاروق والنصر".

وكانت الذريعة السخيفة حسبما جاء في البيان الداعشي: "محاولة أتباع النظام السوري اقتحام مقر الدولة في مدينة الباب عبر مظايرة مسلحة خرجت أمام المقر، ثم قيامهم بالاعتداء على جنودنا من أنصار ومهاجرين بالسب والشتم والضرب وإطلاق النار ورمي القنابل وتحطيم المركبات".

من الأمثلة المشهورة أيضاً الهجوم على لواء عاصفة الشمال في إعزاز بذرعة ملاحقة طبيب الماني أُتهم بالتجسس وتصوير مقر الدولة في المدينة، ومنها الحادثة التي كانت سبباً في اندلاع الاشتباكات الأخيرة، فقد أعلنت داعش الحرب على الأتارب بحجة أن أحد أبناء المدينة "رمى راية الدولة على الأرض"!

ورغم أن لواء أمجاد الإسلام (الذي يسيطر على الأتارب) أعلن موافقته على التعاون وتقديم المتهم إلى محكمة شرعية تختار هيئة النصرة قصاصها إلا أن داعش أصرت على غزو المدينة وسيّرت إليها الأرتال. أليس هذا هو منطق الجيش الأسدية نفسه؟

-5-

السرقة والسطو على المال العام من الوسائل التي تستعين بها داعش لتعزيز مواردها، فهي تعتبر أن كل مال عام في سوريا حق لها، وربما مدّت يدها أيضاً إلى المال الخاص، ومتى شاءت استلابه من صاحبه وضفت لنفسها ألف تبرير ولم يردعها شرع ولا قانون.

اسألوا سكان المناطق المحررة كم من المصانع والمتأجر والمساكن نُهبت بحجة أن أصحابها شبيحة أو موالي سابقون أو نصارى لا ذمة لهم ولا أمان، وكم من المنشآت الإغاثية والطبية صادرتها داعش أو خربتها وأتلفت ما فيها من مواد وتجهيزات لأن للهيئات القائمة عليها صلة بالدول الكافرة أو بالائتلاف السوري المرتد.

وما أدرى لهم مغرون بدمير وتعطيل المستشفيات على الخصوص، فما أكثر ما خربوه منها أو سلبوها أجهزتها ومعداته، وما أكثر ما احتلوه وحولوه إلى مقرات.

إنهم يتركون الأبنية التي بناها الناس للتجارة والسكن ويستولون على البناء الذي يُبني وجُهّز ليكون مستشفى يعالج الناس ويخفف معاناتهم، فيعطيونه ويحولونه إلى مقر عسكري لهم، أو يهاجمونه بأي ذريعة سخيفة، كالاختلاط بين الرجال والنساء أو الاستعانة بأطباء "جواسيس" من الكفار!

قد لا يصدق القراء الكرام لو عرفوا عدد المستشفيات التي خربتها داعش تخريباً متعمداً، وكأنها موكلة بزيادة معاناة الناس ليصارعوا إلى الاستسلام!

هل تعلمون أن عدد المستشفيات التي هوجمت وخربت في الأيام العشرة الأخيرة من شهر كانون الماضي فقط (أي قبل بداية الاشتباكات الأخيرة مباشرة) هي ثلاثة مستشفيات: مستشفى اليمضية في جبل الأكراد، وقد توقف عن العمل، ومستشفى الزرزور في حلب، وقد نجاه الله منهم بفضل الكتائب التي سارعت لإنقاذه، ومستشفى مسكنة الذي استغرق إنشاؤه عشرة أشهر وكلف عشرة ملايين ليرة سورية، فخرّبته داعش في عشرة أيام وسرقت محتوياته وتجهيزاته فلم تُبْقِ فيه شيئاً يستفاد منه.

ناهيك عن الحقول النفطية وصوامع الغلال التي استولت عليها في الرقة ولا يعرف أحد ما يُفعّل بمواردها على وجه التحقيق، وعن المخابز والمطاحن والمصانع والصيدليات ومستودعات الغاز التي استولت عليها في حلب وغيرها من المناطق، حتى صار الناس يفرون منها بأموالهم وأملاكهم كما يفرون من جيش الاحتلال الأسدية، وحتى صار السوريون المساكين تحت سيطرتها كمَن خرج من تحت الدَّلَف فانتهى أمره تحت المِزْرَاب!

* * *

وبعد، فلو أتنا بسطنا المقال في خيانات داعش وغدرها وكذبها وتقيّتها وفجورها في الخصومة ونكتها بالمهود ونقضها لاتفاقيات لملأنا مجلداً كبيراً، حتى ما عدنا نعرف هوية هذه الجماعة ومذهبها ودينها، فإننا إذا نظرنا إلى كذبها وخيانتها قلنا منافقون، وإذا نظرنا إلى تكفييرها قلنا خوارج، وإذا نظرنا إلى تقيّتها قلنا رواض، وإذا نظرنا إلى عدوانها قلنا بغاة. ورغم ذلك كله فما يزال فريق من المخدوعين يظن أنها دولة الإسلام لأنها رفعت راية التوحيد وسمّت نفسها دولة الإسلام! ما أسهل ما تخدع الشعارات والأسماء السُّدُّج المغفّلين!

الزلزال السوري

المصادر: